# شعر المقاومة في الجزائر وأثره على الثَّورة التَّحريريَّة الكبرى .

**أ . أمبارك بن مصطفى**
**المركز الجامعي آفلو**

**الملخص:**

إن الحديث عن أدب القاومة يقودنا إلى الحديث عن مرحلة مهمة من تاريخ الأمة العربية على العموم والجزائر خصوصا، حيث اقتضت هذه المرحلة التضحية والمقاومة والكفاح بأشكال ووسائل عديدة لعل من أهمها المقاومة الفكرية والأدبية التي تجسدت في فنون أدبية أبرزها شعر المقاومة الذي اتخذ منه شعراء الجزائر والعرب سلاحا لمجابهة المستعمرين ودحرهم، وأداة لاستنهاض الهمم والتعبير عن المشاعروالأحزان، فكان للشعر وقع على النفوس فحرك الضمائر وأحيا القلوب، وهيأ الشعوب لما هو أعظم ألا وهو التضحية بالنفس والنفيس في سبيل الوطن.

ولما نتكلم عن شعر المقاومة في الجزائر فإننا نتوقف عند عدد من الشعراء الذين نذروا أقلامهم في سبيل الوطن والشعب، فصوروا لنا بطولات الشعب الجزائري، وضربوا لنا أروع الأمثلة في التضحية والفداء، فكان لوقع أقلامهم دوي صداه مثل صدى الرصاص.

وسنسعى نحن من خلال هذه الورقة البحثية الإجابة عن هذه الأسئلة للوقوف على أهمية شعر المقاومة وصلته بالحركات التحررية، وأثره على الثورة التحريرية الكبرى.

. فما معنى شعر المقاومة؟ وما أهميته؟ وهل كان له أثر على الثورة التحريرية الكبرى؟ ومن هم شعراء المقاومة في الجزائر؟ وهل عبروا عن قضايا الوطن ومآسي الشعب وطموحاته

Summary

The discussion of the literature of Qawamah leads us to talk about an important stage in the history of the Arab nation in general and Algeria in particular, where this stage required sacrifice, resistance and struggle in many forms and means, perhaps the most important of which is the intellectual and literary resistance, which was embodied in literary arts, most notably the poetry of resistance, A weapon to confront and defeat the colonists, and a tool to stir up the emotion and express feelings and sorrows, was for the poetry

fell on the souls moved consciences and revived hearts, and prepared the people for what is greater, self-sacrifice and good for the homeland.

When we talk about the poetry of the resistance in Algeria, we stop at a number of poets who vowed their pens for the sake of the homeland and the people, and portrayed us the championships of the Algerian people, and hit us the finest examples of sacrifice and redemption, the impact of their pens echoed like the echo of bullets.

We will seek through this paper to answer these questions to find out the importance of the poetry of resistance and its connection to liberation movements, and its impact on the Great Liberation Revolution.

What is the meaning of the poetry of resistance? What is its importance? Did it have an impact on the Great Liberation Revolution? Who are the poets of the resistance in Algeria? Did they express the issues of the homeland and the tragedies and aspirations of the people?

***أدب المقاومة في الجزائر:**

لقد عرف الأدب العربي الحديث تغيرات جذرية مع مطلع القرن التاسع عشر ألقت بضلالها على المستويات الثقافية والفكرية والأدبية والسياسية ، وكان من نتيجة مخاضها أدب المقاومة، الذي دعت إليه ضرورة ذلك العصر، والحالة التي آلت إليها الأوطان العربية نتيجة الاحتلال، ولكن الناظر إلى تاريخ العرب الحديث يجد أنه " تاريخ ثورة وكفاح، واخفاقات تكسر القلب، ومساع كابية، ومعاودة كفاح وثورة، هذه الأسباب إلى جانب الاتصالات الثقافية المستمرة، هي التي خلقت النموذج الأعلى للشاعر العربي الحديث الأكثر تطورا: شاعر موزع النفس، عميق الجرح، تحكمه نزعات شتى من الغضب، والرفض، والرعب." [1]

---

[1] سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1ن 2001م، ص 16.

وإذا نظرنا إلى الجزائر يمكننا القول أن تعامل المحتل مع الجزائريين لم يكن كتعامله مع بقية المستعمرات، فقد جاء المستعمر" ليسلب أفكار الشعب، ويزور تاريخه، ويحطم كيانه، ويستغل ثروته، وبذلك تعرضت شخصية الأدب التي ظللت محتفظة بمقوماتها وملامحها إلى هزات عنيفة كادت تفقدها تلك المقومات والملامح، لأنها لم تستطع أن تواجه الغزو الثقافي بنفس العتاد الذي جاء به الاحتلال في عنفوانه وانتقامه. ولم تستطع أن تطور ذاتها بالطريقة التي يفترضها تخطيط العدو وبرامجه في الهدم والتسلط وإزالة المعالم القومية."[2]

فقد كانت " المهمة الأولى أمام الاستعمار، هي أن يقضي على الشخصية العربية، وقد استنفد الاستعمار جهدا كبيرا طوال عشرات من السنين في محاولة القيام بهذه المهمة على نحو متصل ثابت."[3]

ورغم محاولات المسخ والتشويه، وقطع الجزائر عن تاريخها وماضيها، فقد بقيت الهوية وسمات القومية العربية حاضرة في الأدب الجزائري، فقد حافظ الجزائريون على لغتهم وعاداتهم وتقاليدهم ودينهم: وقد رد عبد الحميد بن باديس على المشككين بقوله:

شعب الجزائر مسلم وإلى العروبة ينتسب
من قال حاد عن أصله أو قال مات فقد كذب
أو رام ادماجا له رام المحال من الطلب

وربما هذه من الأسباب التي أخرت تطور الأدب الجزائري مقارنة بنظيره في المشرق، وهذا جعل عبداللهالركيبي يذهب إلى القول بأنه قد علق في أذهان الكثيرين أنه لا أدب في الجزائر فأدب الجزائر" فيه شعر يجهله الكثيرون من أبناء العروبة، يجهله حتى الأدباء الكبار الذين يتزعمون حركة الفكر والأدب في العالم العربي، وحتى إلى زمن قريب جدا لم يعرفوا عن الأدب في الجزائر سوى أشياء قليلة."[4]

ويرجع سبب هذه النظرة الخاطئة إلى قلة الدراسات المتخصصة في هذا المجال، بالإضافة إلى أن ما كتب من الأدب الجزائري، وخاصة الشعر لازال مشتتا في الصحف والمجلات يبحث عن من يلملم شتاته ويجمع مصادره.[5]

وبحديثنا عن المقاومة في الأدب الجزائري يمكننا القول أن أدباء الجزائر وشعراؤها قد أصبحوا "جزءا رئيسيا من جهة القتال، وأصبح الموضوع الذي تدور حوله أعمالهم هو حرب التحرير ومقاومة المستعمر رفضا للاستغلال والتسلط. وقد أدرك العدو نفسه ذلك فراح يتفنن في استكتشاف فنون التعذيب والتنكيل،

---

[2] أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر ط5، 2007م،ص 22.

[3] عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت،ط1، 1991م، ص 34.

[4] عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص 7.

[5] ينظر: المرجع نفسه، ص 8.

وابداع الوسائل التي تكفل له في نظره على الأقل القضاء على المقومات الشخصية والتاريخية التي بدونها يستحيل الصمود."[6]

فأدب المقاومة الأصيل هو الذي يدعوا إلى النضال، ويسعى إلى تحقيق القيم النبيلة، والمحافظة على الثوابت الوطنية. والسؤال الذي يطرح نفسه أين تجلى أدب المقاومة في الأدب الجزائري؟

تعود البداية الحقيقية لأدب المقاومة في الجزائر إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية، ويرجع السبب في ذلك إلى السياسة الاستعمارية المنتهجة التي ضيقت علىالمثقفين والأدباء الجزائرين، ولم تسمح لهم بالتعبير عن قضايا الوطن والشعب، فكانوا عرضة للسجن والنفي والملاحقات، واقتصرت كتاباتهم على بعض القصائد والروايات التي كانت لا تتناول من قريب أو بعيد المشاكل الحقيقية للشعب.[7]

أما نهاية الحرب العالمية الثانية فكانت إيذانا بمرحلة جديدة تشبعت بالفكر التحرري، وفتحت الباب على مصراعيه لتكسر القيود، وينجلي الظلام، وتحرر العقول، وتعبر الأقلام عن قضايا الشعب ومآسيه، فأصبح الأدب الجزائري في هذه الفترة كله أدب مقاومة.

فالأدب الجزائري" استطاع أن يتخطى الأمر الواقع والتحدي القائم الذي يواجه كافة أنواع النشاط عند الانسان ليتجاوز الامتحان العملي لوظيفة الأدب في المجتمع. كما أن الأدب الجزائري أدرك قيمة البعد الإنساني في العمل الفني أثناء المقاومة بالتحديد، فنشد تصوير الحياة الثائرة في الجزائر وما يحيطها من أحداث ومستويات اجتماعية وتغنى بغد أفضل تسوده الحرية. ويتاح فيه للإنسانية أن تنفتح على أعمق ما فيها من خير ومحبة."[8]

***شعرالمقاومة في الجزائر:**

لقد كانت المقاومة الفكرية والأدبية في الجزائر هي اللبنة الأولى التي اثمرت ما يسمى بالثورة التحريرية الكبرى، فما كتبه أدباء الجزائر في القصة والمسرح والرواية والمقال والشعر كان كله معبرا عن قضايا الشعب ويسعى إلى تحقيق هدف واحد وهو الحفاظ على مقومات الشعب ونيل الحرية والاستقلال، ويمكن القول أن أهم جنس أدبي كان له علاقة وثيقة بالحركات التحررية هو شعر المقاومة أو الشعر التحرري الذي كان لشعراء الجزائر نصيب منهفراحوا " يضرمون لهب النضال المجيد بأشعار حماسية نارية."[9]

---

[6] عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 63.

[7] ينظر : عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 67. وينظر: العربي زبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر 1995م، ص 107.

[8] عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 69.

[9] شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت، ص 150.

ولكن قبل الحديث عن شعر المقاومة في الجزائر ينبغي القاء نظرة على المسار التطوري للشعر الجزائري وسنقتصر في ذلك على المرحلة الممتدة من احتلال الجزائر إلى الاستقلال والتي مر فيها النص الشعري الجزائري بتحولات عديدة.

**. المرحلة الأولى**: وهذه المرحلة امتدت من دخول المحتل إلى الجزائر سنة 1830م إلى سنة 1900م، فقد كانت صدمة الاحتلال كبيرة على نفوس أبناء الجزائر، فكان الشعور القومي الوطني حاضرا آنذلك في النص الشعري الجزائري وتجلى فيما كتبه شعراء الجزائر في تلك الفترة أمثال: حمدان بن عثمان خوجة، والأمير عبد القادر، ومحمد بن الشاهد، وقدور بن رويلة ومن أهم مميزات النص الشعري في هذه المرحلة أنه نص يحاكي القصيدة القديمة ويستلهم البطولة والفروسية واللغة الراقية والأسلوب الفني الجيد. ويعتبر شعر الأمير عبد القادر أصدق مثال على كلامنا، ليشهد بذلك على بدايات طيبة لنهضة الشعر الجزائري منذ النصف الأول من القرن 19م.[10]

**. المرحلة الثانية**: وهذه المرحلة امتدت من سنه 1900م، إلى سنة 1920م، وقد عرفت هذه المرحلة ضعف النص الشعري من حيث الموضوعات والمضامين، فلم تخرج موضوعاته عن بعض المدائح الدينية في حق البعض من شيوخ الزوايا، أو التهنئة على منصب، أو مدح حاكم فرنسي، وربما هذا الضعف الفني في النص الشعري الجزائري يعود إلى السياسة الاستعمارية المنتهجة، وأبرز شعراء هذه المرحلة هم: الشيخ شعيب بن علي قاضي تلمسان، والشيخ أبو بكر بوطالب.[11]

**. المرحلة الثالثة**: وامتدت هذه المرحلة من سنة 1920م، إلى سنة 1930م، وقد كانت هذه المرحلة بداية للتخلص من الموضوعات المبتذلة، وبداية للوعي القومي، ونشاط الحركات الإصلاحية فبدأ الشعر يتعافى وينحو منحى اصلاحيا من خلال الدعوة إلى العلم ومحاربة الجهل والتخلف، خاصة بعد ظهور الجرائد ووسائل الاعلام. مما أتاح للشعراء التعبير عما في نفوسهم. ونذكر منهم: عمر بن قدور، وعبد الحليم بن سماية، ومحمد بن مصطفى بن الخوجة.[12]

**. المرحلة الرابعة**: وامتدت هذه المرحلة من سنة 1930من إلى سنة 1945م، حيث غلب الجانب الإصلاحي على النص الشعري الجزائري، واتجه الشعر صوب محاكاة القصيدة التقليدية، من حيث البناء الفني والموسيقى واحياء التراث الشعري القديم، وقد كانت جمعية العلماء المسلمين رائدة في ذلك، وأبرز شعراء هذه المرحلة محمد العيد آل خليفة.[13]

---

[10] ينظر: كوداد ميلود، البنى الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة، ص 28 . 29.

[11] ينظر: كوداد ميلود، البنى الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر، ص 30.

[12] ينظر: المرجع نفسه، ص 31.

[13] ينظر: المرجع السابق نفسه، ص 32.

**. المرحلة الخامسة**:وهذه تسمى بمرحلة النص الوجداني حيث عرف شعره بطابعه الرومانسي الذي يخاطب العاطفة، ويستعمل اللغة البسيطة ويسبح في الخيال،وممن كتب في هذا الشعر الربيع بوشامة، عبدالله شريط.[14]

**المرحلة السادسة**:وتسمى هذه المرحلة بمرحلة الشعر الثوري، وهذا لا يعني أن الشعر الجزائري مختص بهذه المرحلة، فهو حلقة من سلسلة الشعر الجزائري منذ احتلال الجزائر حتى الاستقلال،فلم يكن حكرا على طائفة معينة بل كتب فيه أغلب شعراء الجزائر، ولم يختلف أسلوبه عن أسلوب القصيدة التقليدية إلا في القاموس اللغوي والموضوعات.[15]

وقد ارتبط شعر المقاومة في الجزائر بالاحتلال، فقد بدأت قصة كفاح الشعب الجزائري، منذ أن وطأت أقدام المستعمرين الجزائر، ولما نتكلم عن شعر المقاومة في الجزائر نتوقف عند شخصية جزائرية بارزة قامت بأول مقاومة تحريرية، ممثلة في الأمير عبد القادر فكان الشاعر والفارس والأمير، وقد عبر عن ذلك في شعره الذي كان يهدف من خلاله إلى التعبئة وشحذ الهمم والحث على مجابهة العدو فيقول مخاطبا زوجته[16]:

إذا مـا لـقيت الخـــيل إنـــي لأول  وإن جال أصحابي فإني لهم تـال

وبـــي تتقـي يوم الطـــعان فوارسي  تخالينهم في الحرب أمثال أشبـال

وأبـذل يوم الـروع نفـسا كريـــمة  على أنها في السلم أغلى من الغالي

وعـني سلي جنس الفرنسيين تعلمـي  بأن منـاياهـم بسيفـي وعســالي

فهذا الأمير عبد القادر يصف لنا حاله وحال أصحابه في المعركة مفاخرا بشجاعته واقدامه، مضحيا بأغلى ما يملك في سبيل وطنه وشعبه.

فشعر المقاومة في الجزائر دعا إلى المقاومة وتغنى بالجهاد والنضال ودعا إلى وحدة الجزائر وواكب الأحداث السياسية، وكانت لغته بسيطة قريبة من المجتمع، فقد ظل سجلا للنضال الجزائري الذي ترعرع في أحضان التربة الجزائرية مصفدا بأغلال القهر فتتبع الاحتلال وعلق عليه، ولهج بالانتصارات ورثى الهزائم.[17]

---

[14] ينظر: المرجع نفسه، ص 37 . 38.

[15] ينظر: المرجع نفسه، ص 39.

[16] ينظر: شوقي ضيف، البطولة في الشعر العربي، ص 111.

[17] ينظر: عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، ص 42.

كما أن الشاعر الجزائري قاوم مقاومة باسلة حتى أنك تجده " يفني شخصيته في شعبه، فحياته، ومشاعره الذاتية لا تهمه، وإنما تهمه حياة شعبه."[18]فتراه يبدأ في قصيدته " بالشكوى من سوء حال الشعب، فيعدد النكبات والمصائب التي يتخبط فيها هذا الشعب، ثم يختتمها بالدعوة إلى المقاومة وإلى الاستشهاد."[19]

وإذا جئنا إلى الحديث عن أثر شعر المقاومة على الثورة التحريرية الكبرى، يمكننا القول أن الشعر قد تكهن بها قبل حدوثها ورمز إلى مكانها" فالمرء يقف حائرا أمام هذه الومضة الخاطفة في الشعر الجزائري، أن الشعر يتكهن بالثورة، ويعين لها الجبال كمنطلق ومركز للانفجار، وربما يكون الشعر قد رأى في الجبال رمزا للقوة و المنعة، ورأى فيها الحصن المتين الذي يمكن أن يلوذ به الثوار في يوم ما ... فانطلقت الثورة من الجبال وحققت أحلام الشعراء بعد تكهناتهم وارهاصاتهم بزمن طويل، ولعل أول قصيد تكهن بذلك هو نشيد " من جبالنا " الذي ظهر في أعقاب مأساة الثامن من ماي عام 1945م."[20]

وقد حمل لواء شعر المقاومة في الجزائر مجموعة من الشعراء في مراحله المختلفة، وربما المقام لا يكفي للحديث عن الجميع، ولهذا سنقتصر على نموذجين كان لهما حضورهما في الثورة التحريرية الكبرى، هما: محمد العيد آل خليفة، ومفدي زكرياء.

. محمد العيد آل خليفة: يعتبر محمد العيد آل خليفة من رواد الشعر الجزائري الحديث، ومن أبرز شعراء الثورة الجزائرية، والداعمين لها، فكتاباته الأدبية كانت كلها حماسية وتصب في مصلحة الشعب، كما يعد من أبرز الداعين للإصلاح والمتحمسين له،

فشاعر الجزائر محمد العيد آل خليفة من الذين آمنوا مبكرا بفكرة تحرير الجزائر وعملوا على تجسيدها على أرض الواقع فيقول في قصيدة له:[21] مخاطبا أبناء وطنه يستنهض هممهم ويدعوهم إلى الثورة على المستعمر:

بلغنا رشدنا يا كون فاشـهد وأدركنا فاذعن يا وجـــــود
حنت أعناقَنا الاغلالُ ظلــما وحزت في سواعدنا القيـــود
فقم يا بن البلاد اليوم وانهض بلا مهل فقد طـال القعـود
وخض يا بن الجزائر في المنايا تظللك البـــنود أو اللــحود

ويعد محمد العيد آل خليفة مثالا للشاعر الحر الأبي الذي لا يهاب الموت ولا يخاف السجن، فزلزل بشعره أركان المستعمر، إذ يقول:

سئمنا من الشكوى إلى غير راحم وغير محق لا يدين بقسـطاس
ولا خير في عد المظـــالم وحـدها إذا لم تَبن عن مُرهفات وأتراس

---

[18] شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، ط2، د ت، ص 195.

[19]عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري، ص 41.

[20] عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري، ص 54.

[21] شوقي ضيف، الشعر وطوابعه الشعبية، ص 232.

كما يعتبر محمد العيد آل خليفة شاعرا اصلاحيا فشعره ثوري إصلاحي، فقد ترعرع في أحضان الطيب العقبي، والبشير الابراهيمي وعبد الحميد بن باديس، وتشبع بفكرهم، ونهل من معينهم، فلما استوى عوده حمل راية الدفاع عن اللغة والقرآن فيقول[22]:

هيهات أن يعتري القرآن تبديـــل وان تبـــدل تـــوراة وانجـيل

قل للذين رموا هـذا الكتاب بمـــا لم يـتفق معــه شرح وتبـــديل

هل تشبهون ذوي الألباب في خلق إلا كما تشبه الناس التماثيل

كما كان محمد العيد آل خليفة من المدافعين عن اللغة العربية والمنافحين عنها، فيقول في قصيدة داعيا شباب الجزائر إلى العلم والتعلم و الحفاظ على اللغة العربية والالتفاف حولها لأن بقاءها من بقاء الجزائر فيقول:

لكـم اللسان الفذ في ايضاحه رغما على الساعين في ابهامه

لا تهملوا هـذا اللسان ففقدكم في فقده ودوامكم بدوامه

فشعر محمد العيد آل خليفة كان شعرا هادفا عبر من خلاله عن مآسي الشعب وطموحاته فها هو يطلقها صرخة مدوية في جريدة المنار سنة 1950م، أيها الشعب لا سبيل لكم للتحرر من القيود والحصول على غد أفضل إلا بالجهاد فيقول[23]:

الأسر طال بكم فطـال عنـاؤكـــم فكـــوا القيود وحطموا الأغلال

والشـعب ضج من المظالم فأنشدوا حـريـــة تحمـــيه واستقلالا

لا أمـــــن إلا في ضـــلال مرفـــوف حُـــــر لنا عـــال ينـــير هـلالا

مـن فوق جند بالعتيد من القـوى يلقـى العدو ويصـــمد استبسالا

وإذا أراد الشـــعب نـال مـــــراده لـو أنـــه كالنـــجم عز منـالا

. أما النموذج الثاني من شعراء الثورة الجزائرية فهو الشاعر مفدي زكرياء، الذي أخذ عن جدارة لقب شاعر الثورة، فقد ناضل وكافح من أجل الجزائر، وتحمل الصعاب وغياهب السجن، في سبيل الكرامة ونيل الحرية، فمن يقف على الإنتاج الفكري الذي أنتجه شعراؤنا يتبين له أن " الجهد الفكري قد سبق بالفعل انطلاق الرصاصة الأولى، ولولا انتشار الفكر الذي كان يعبر عن أيديولوجية الثورة ويعمل في ذات الوقت على تعميقها باستمرار، لما استطاعت أية قوة أن تنفذ إلى الجماهير الشعبية الواسعة توعيها وتعبئها وتدفع بها في طريق الخلاص من الاحتلال الاستيطاني والهيمنة الأجنبية في جميع أشكالها وبسائر أنواعها." [24]

---

[22] العربي زبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، ص 47.

[23] المرجع السابق نفسه، ص 54.

[24] المرجع السابق نفسه، ص 41.

فمفدي زكرياء ممن قدموا أرواحهم فداء للوطن، وممن آمنوا بالثورة وتشبعوا بها فواكب الثورة من أول ليلة إذ يقول في قصيد له بعنوان " ليلة القدر الكبرى "[25]:

دعا التاريخ ليلك فاستجابا نوفمبر هل وفيت لنا النصابا؟
وهل سمع المجيب نداء شعب فكانت ليلة القدر الجوابا
تبارك ليلك الميمون نجما وجل جلاله هتك الحجابا

فقد شبه مفدي زكرياء ليلة الفاتح من نوفمبر 1954م بليلة القدر، وهذا إن دل فإنما يدل على عظم هذه الليلة المباركة التي غيرت مجرى تاريخ أمة بأكملها، ثم يواصل الحديث في قصيدته فيصف ويصور لنا مشاهد وأحداث وتفاصيل وهول و وقع ذلك اليوم على المستعمر فيقول:

ولعلع من شلعلع ذو بيان فأطلق فوق جرجرة الجعابا
وشبت في ذرى وهران نار رآها برج مدين فاستجابا
جهاد دوخ الدنيا وألقى هنالك في سياستها اضطرابا
وزلزل من صياصيها فرنسا وأوقع في حكومتها انقلابا
وأوفدت الرصاص ينوب عنها يناقس غاصب الشعب الحسابا
فأيقظت القنابل من تعامى وأسدل فوق ناظره النقابا

فشعر مفدي زكريا يعكس شخصيتة الثائرة التي تفاعلت مع الثورة في كل تفاصيلها، وشاعريته الفذة التي عبرت عن حس مرهف، وتجربة صادقة، وقناعة تامة، بأن لا سبيل للحياة إلا بلغة القنابل وصوت الرصاص فيقول:[26]

لغة القنابل في البيان فصيحة وضعت لمن في مسمعيه صمام
ولوائح النيران خير لوائح رفعت لمن في ناظريه زكام
وروائح البارود مسك نوافحسجرت لمن في منخريه زكام
والحق والرشاش إن نطقا معا عنت الوجوه وخرت الاصنام
فلتعلم الأقطاب أنا للفدا ثرنا ... وأن الانعتاق لزام
وحقوقنا اعترفوا أم انكروا فطريقنا لبلوغها الارغام
وبلادنا بيد الخلاص خلاصها هيهات يجري مجلس وخصام
وجهادنا ما كان قط لندوة بصوابها تتحكم الأرقام

[25] عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص 59.
[26] العربي زبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، ص 119.

لقد كان مفدي زكرياء الناطق الرسمي باسم الثورة التحريرية، ولسانها المعبر، فخلد في شعره جوانبها السياسية، ومآثرها العسكرية، واهتم بكل شاردة وواردة تتعلق بالثورة والثوار، وكانت مقاومته بالقلم لا تقل أهمية عن من هم في قمم الجبال. وكيف لا وهو من صنع ملحمة الجزائر الخالدة " نشيد قسما".

لقد عرف عن شعر المقاومة خلال الثورة التحريرية الكبرى الحديث" عن الحرية، والاستقلال، والعلم، والنضال، والدعوة إلى العلم والثقافة، والاتجاه نحو الشرق العربي، إلى غير ذلك من المواضيع والأغراض التي تحدث عنها شعراؤنا، وسجلوها بصدق وإخلاص، فكانوا بذلك مرآة للشعب الجزائري الذي كان يتحفز لمرحلة أخرى جديدة، مرحلة الثورة، والخروج من السلبية إلى الايجابية الفعالة. فالشعر الجزائري قد قطع في هذه المرحلة شوطا بعيدا نحو النضوج والاكتمال ليكون خميرة طيبة لأدب ثوري جديد، أدب ما بعد الثورة، وهو الأدب الذي واكب المعركة، وعبر عنها أصدق تعبير."[27]

وقبل أن نختم دراستنا، يمكننا القول أنلشعر المقاومة في الجزائر أهمية كبيرة تجلت في ما يلي:

. أن شعر المقاومة كان أداة للتعبير عن قضايا الشعب ومآسيه.

. أنه كان وسيلة من وسائل النضال السياسي والعسكري.

. أنه سجل حافل، أرخ لمرحلة مهمة من تاريخ الجزائر،فخلد مآثر الشعب الجزائري وملاحمه وبطولاته.

. أنه كان وسيلة من وسائل الاعلام فوصف الشعراء معارك بعينها، وبقيت محفوظة في أرشيف الشعر، كمعركة خنق النطاح مثلا مع الأمير عبد القادر.

وفي الختام يمكن القول أن شعر المقاومة في الجزائر قد أدى دورا مهما، فأرخ لمرحلة من مراحل تاريخ الجزائر عرف فيها الشعب الجزائري الظلم والقهر والاستبداد، فكان الشعر شكلا من أشكال الكفاح، والنضال، والمقاومة، عبر من خلاله الشعراء الجزائريون عن أحزان الشعب ومآسيه، وظلم المستعمر وطغيانه، وحرضوا من خلاله الشعب على النضال والكفاح في سبيل نيل الحرية والعيش بكرامة، فكان الشعر الوقود الذي أشعل لهيب الثورة.

وقد بدت لنا من خلال دراستنا مجموعة من التوصيات التي رأينا أنه يمكن أن تطرح في هذا اليوم الدراسي الذي يعد التفافة طيبة إلى شكل أدبي يعد في الجزائر من المواضيع الهامشية التي قلما تذكر، وهذا ما يستدعي من القائمين والمختصين في هذا المجال إعادة النظر في هذا الجنس الأدبي وذلك من خلال:

. العمل من أجل الحفاظ على هذه الثروة الفكرية التي عبرت عن مرحلة مهمة من تاريخ الجزائر.

. العمل على إقامة ملتقيات وطنية، وأيام دراسية وطنية دورية، للتعريف بأدب المقاومة في الجزائر، والتذكير بما قدم أدباء الجزائر وشعراؤها من نتاج فكري وأدبي.

---

[27] عبد الله الركيبي، دراسات في الشعر الجزائري الحديث، ص 57.

. العمل على قيام دراسات مختصة لجمع ولملمة، وتدوين هذا التراث الأدبي وخاصة المورروث الشعبي ( الأدب الشعبي، والشعر الشعبي ).

. العمل على التعريف بأدب المقاومة في الجزائر ونقله من القومية إلى العالمية باستعمال الوسائل الكفيلة بذلك كالترجمة والصحافة ...

*** قائمة المصادر والمراجع:**


. أبو القاسم سعد الله، دراسات في الأدب الجزائري الحديث، دار الرائد للكتاب، الجزائر، ط5، 2007م.

. العربي زبيري، المثقفون الجزائريون والثورة، المؤسسة الوطنية للاتصال والنشر والاشهار، الجزائر 1995م.

.كوداد ميلود، البنى الشعرية في الشعر الجزائري المعاصر، رسالة ماجستير، جامعة ورقلة.

. شوقي ضيف:

البطولة في الشعر العربي، دار المعارف، القاهرة، ط2، د ت.

الشعر وطوابعه الشعبية على مر العصور، دار المعارف، ط2، د ت.

. عبد العزيز شرف، المقاومة في الأدب الجزائري المعاصر، دار الجيل، بيروت،ط1، 1991م.

. سلمى خضراء الجيوسي، الاتجاهات والحركات في الشعر العربي الحديث، ترجمة عبد الواحد لؤلؤة، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت، ط1ن 2001م.